

الامر قدوة لبناتها

للأستاذ سلامة موسى

عندما نقول إن الأم هي قدوة لبناتها لا يكون قولنا هذا كل الحق . لأن الحق أنها هي قدوة بناتها وأبنائها معا . ذلك لأن الثابت الآن أن الأم — دون الأب — هي التي تربي بناتها من البنسين . وإن حظ الأب في هذه التربية أن لم يكن معدوما تماما فهو على الأقل صغير بالمقارنة الى ما سيناله الأبناء من أهمهم .

فقد ثبت أن ما نناله من تربية أصلية — وهي غير التعليم كما هي أكبر منه وأخطر — إنما نحصل عليه في السنوات الخمس أو الست الأولى من الطفولة . أي أن العادات والاستجابات تتكون في هذه السن وهي الأساس الذي يبنى عليه في المستقبل. ففي هذه السنين تتكون أخلاقنا التي قد تلازمنا الى من الشيخوخة . فإذا ساء الحظ وكانت تربيتنا في هذه السنين الأولى من أعمارنا سيئة فإن هذا السوء سوف يلازمنا مدى حياتنا وهو سوف يحتاج الى أعظم الجهود لازالة أثره .

ولهذا السبب يجب أن نكبر من شأن المرأة وأن نذكر أنها هي المربية الأولى والأصلية لكل من أبنائنا وبناتنا . وطبيعة جنسها تجعلها بالطبع أكبر أثرا في ابنتها من ابنها . ولكن هذا لا يعنى أنها معدومة الأثر في الابن أو حتى صغيرة الأثر فيه . بل يعنى أن طبيعة جنسها تجعلها ألصق بابنتها كما تجعل هذه أطوع لها وأكثر اقتداء بها من الابن . ثم هذا الابن قد يجد في مرافقة أبيه وفي أنهما من جنس واحد ما يجعله يلتفت إليه أكثر ويقتدى به أكثر مما تفعل البنت. ولكن يجب ألا نخدع أنفسنا وأن نظن أن الأب يؤثر في الابن أكثر من الأم.

وطامتنا يعرفون أثر الأم في البنت . ولهم أمثال شائعة في ذلك وهي أمثال قد أثرها الاختبار . إذ قل أن تختلف الفتاة في أسلوب عيشها من الأم التي ربتها . ذلك أن لكل أم أسلوبا في العيش لا يبدو فقط في تقديرها للقيم الاجتماعية والأخلاقية بل يبدو كذلك في تدبير المنزل ونوع الطهي وترتيب الأثاث والهندام ومعاملة الخدم . وأكثر من ذلك يبدو في معاملة

الزوج وبجاملة الضيوف . والفئة تعرف الدنيا لأول ما تعرفها عن طريق أمها . فهي تنظر إليها نظراتها وتتخذ ما يمكن أن نسميه "فلسفتها" منها لأنها تقدر القيمة الاجتماعية والأخلاقية التقدير الذي رآته منها ثم هي تتخذ أسلوبها في العيش لهجة في الحديث وإيماءة باليد أو الوجه ولونا في الهندام ومعاملة للغير . وكثيرا ما نرى المشابهة تقارب المطابقة بين الأم والبنت فنظن أنها ترجع الى قوة الوراثة . ولكن الحقيقة أنها ترجع الى القدوة أكثر من الوراثة .

فإذا شئت الأم أن تربي ابنتها التربية الحسنة السامية فكل ما عليها أن تجعل من نفسها أمامها القدوة الحسنة السامية . فلا تهاون في أنفه الأمور لأن هذا التأفه ستقله عنها ابنتها في دقة قد تحار منها الأم في المستقبل وتقدم عليها . ولتنق الأم أن ابنتها حين تأكل في غير لباقة أو أناقة أو حين تتسلى بأكل اللب أو حين تطرح قشر البرتقال على الأرض أو حين تصخب وترعق مع الخدم أو حين تضحك الضحكة النابية إنما تنقل ابنتها عنها كل ذلك . وأن ما من سيئة تعزى الى البنت الا كانت لاصقة بالأم . وقد يقال هنا إن للدرسة أثرا لا ينكر في التربية . وهذا صحيح . ولكن هذا الأثر ضعيف جدا لا يكاد يؤبه به الى جنب الأثر الذي تتركه الأم في ابنتها لأنها لازمتها السنوات الخمس أو الست الأولى من عمرها .

ولهذا ينبغي للأم أن تنظر في سلوكها العام في البيت وأن تدبر أثر ذلك في ابنتها . فإذا قعدت الى المائدة معها فلنذكر أن ابنتها — على غير وعي منها — تنقل عنها كل إيماءاتها وحرركاتها . بل هي سوف تحب ما تحب أمها من الطعام وسوف تأنف مما تنكره أمها . ولا يمكن البنت أن تتعلم النهم في الطعام والرغبة في الحلاوى واعتياد أكل اللب الا إذا رأت مثل ذلك في أمها . ثم هي أيضا سوف تتخذ من اللباس ما تحبه أمها وتأثره على غيره من الأزياء . ثم هي بعد ذلك ستنظر الى أمها في معاملة الخدم وستعاملهم بالرفق أو العنف وبالجاملة أو بالخاشنة كما ترى من أسلوب المعاملة التي يلتقاها هؤلاء الخدم من أمها . وهذه الأم تقرر بهذه المعاملة سعادة ابنتها أو شقاءها في مستقبل الأيام . إذ من منا لا يعرف سيدات شقين الشقاء العظيم بالخدم لا لأن هؤلاء الخدم قد ساءت طباعهم الى حد يتجاوز المعقول المألوف بل لأن ربة البيت تسئ اليهم في المعاملة .

ثم هذه الأم بما تقرأ أو بما تتلهى سوف تفرس في ابنتها أسلوبا من اللهو في الفراغ . فليها أن تذكر حل هذا الأسلوب الذي تتبع هي بعد حسنا أم سيئا وهل ترضاه لابنتها أم لا؟ فهي إذا كانت تنعقد الى ضيوفها للقليل والقال أو إذا كانت لا تقرأ غير التأفه من المجلات فان ابنتها ستقل عنها هذا الذوق في "قتل الوقت" .

ثم هي في معاماتها لزوجها بالملاطفة والمحاسنة أو بالخاشنة والمغاضبة إنما تعلم ابنتها كيف تكون الزوجة المستقبلية . وكلنا يعرف أن البيت الهادئ إنما يعود الفضل فيه الى الزوجة

المحادثة التي تتكلم بصوت منخفض فبنصت إليها المستمع ويتعود الأولاد منها هذه العادة .
أما الزوجة التي تحيل بيتها ندوة صاخبة من المرح والمرج فالأغلب أنها وصلت إلى هذه الحال
لأنها تعودت الصخب والمشاغبة والعنف مع الأولاد والخدم .

والأولاد الناجحون والبنات الوقورات إنما ينشأن في العادة في جو مترلى هادئ تحت
رعاية أم وقور ساكنة تجامل الخدم وتعف عن البذاء ولا تنطق إلا بصوت منخفض يحتاج
مستمعه إلى الهدوء فيقهر الجميع على الترام هذا الهدوء . وفي هذه الحال ينضج الذهن فيقبل
الابن على درسه وتقبل البنت على عملها في غير ضجة وتزول الخلافات أو تقل . وقد يتاح
للبيت هذا الهدوء وقت وجود الأب فيه لخوف والانتقاء . ولكن سرعان ما يعود المرح والمرج
والصخب والزعيق عند ما يخرج لأن الأم لا تضبطه . وعندئذ لا فائدة من هذه الهدنة التي
يقضيها الأولاد في الصمت وقت وجود أبيهم . لأنهم لن يتعودوا الهدوء منها إذ هم يرون
فيها نوعا من العقاب . ولكنهم يعتادونه إذا انقرس فيهم عادة من الأم .
الأم قدوة للبنات وللأبناء . فلنكن القدوة الحسنة .

غرر الدرر

— النصيح ثقيل فلا تجعله جدلا ، ولا ترسله جبلا .

— الحقيقة ثقيلة ، فامتصروا لحقائق العلم خفة البيان .

— رب باك كضاحك المزن ، دمع ولا حزن .

— قبح الدين ، نطق ففضح ، وصكت ففدح .

— ما نبه على الفضل الكاذب مثل الثناء الكاذب .

— ضيق الرزق من ضيق الخلق .

شوقي